الفيلسوفة إديت شتاين

وفن تربية المرأة

إديت شتاين / السيرة الذاتية:

ولدت في المانيا ١٨٩١ برز ذكاؤها وهي طفلة لذلك دعيت (إديت الذكية) كما اطلق عليها زملائها في المدرسة (الكتاب ذو الاختام السبعة)، وقال مدير ثانويتها عنها اضربوا شتاين (أي الحجر بالالمانية) فتسيل كنوز الحكمة[١]. احبت الحقيقة وبحثت عنها منذ الصغر. كانت أبنة لعائلة يهودية الا انها بقيت ملحدة حتى الثالثة عشرة اذ إطلعت على سيرة القديسة الاسبانية تيرزا واثرت بها لدرجة جعلتها تعتنق المسيحية عام ١٩٢٢. درست الفلسفة والادب الألماني واتمت دراستها العليا في الفلسفة حتى نالت الدكتوراه فيها من جامعة فرايبورغ تحت اشراف أبو الفلسفة الظاهراتية الفيلسوف هوسرل عام ١٩١٦، ورغم انها حاولت مرات عدة الحصول على شهادة الاستاذية، الا ان هوسرل رفض منحها تلك الشهادة كونها امرأة[٢]!!!. عانت شتاين ألماً فكرياً رهيباً، ولم تقرأ او تكتب، وكانت تشتهي الموت، وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى سارعت للتطوع في الصليب الأحمر لخدمة الجرحى رغم معارضة والدتها[٣]. وعندما وجدت الأمان في المسيحية واعتنقتها، رغبت الرهينة لكن رئيس الأساقفة حثها على تعليم النساء، فعينت كمحاضرة عام ١٩٣٢ في مؤسسة تربوية، الا ان السياسات المعادية للسامية التي اتبعتها الحكومة الألمانية النازية بقيادة هتلر أدت لفصلها. ما جعلها تعاني القلق الدائم تجاه مستقبلها العلمي، فضلاً عن قلقها إزاء مستقبلها العاطفي لاسيما مع فشلها في علاقة حب مع زميلها الفيلسوف هانز ليبس[٣].

بعد تزايد خطر النازية عليها انتقلت الى احد الاديرة في هولندا، وفي تلك الفترة نشر تجمع الأساقفة الهولنديين منشوراً يشجسب النازية علناً عام ١٩٤٢، ما جعل السلطات النازية تعتقل جميع اليهود المتنصرين ومن ضمنهم شتاين، واختها روزا، واعدامهم في غرف الغاز بمعسكر اوشفيتز. اعلنها الباب يوحنا بولس الثاني كشهيدة عام ١٩٨٧ ثم اعلنها في عام ١٩٩٨ كقديسة في الفاتيكان. الا ان ذلك قوبل بانتقادات من منظمات يهودية عدة[٥].

- تربية المرأة- سبيل حريتها:-

يبدو ان الظلم الذي وقع على شتاين كونها امرأة جاء بردة فعل إيجابية اذ دفعها لتحرير المرأة من جميع القيود التي تعوقها في تحقيق شخصيتها. فضلاً عن وفائها لطلب رئيس الأساقفة بتعليم النساء تلك كانت أسباب رؤية اراء شتاين التربوية النور باعتقادنا.

ان الانسان بعامة، وبغض النظر عن جنسه، هو الاسمى بين المخلوقات باعتقاد شتاين لانه مخلوق على صورة الخالق[٦]. كما ان الشخصية الإنسانية بعامة لا هي مكتملة في ذاتها، ولا هي كيان ساكن، بل هي صيرورة تنفتح من خلالها الطاقات الفطرية بالقوة وتكتمل بالفعل، لذلك نجد شتاين تدعو المرأة الى تفعيل طاقاتها الفطرية الكامنة لتتمكن من مقاربة اعلى درجة ممكنة لاكتمال شخصيتها[٧]. فالتربية، بحسبها، لا تكون من الخارج فقط، بل هنالك استعدادات وكفاءات جسدية وروحية غير منظورة (داخلية) اذا ما تفاعلت وفعلت بالتربية الخارجية يمكن ان تحدث التربية اثرها الإيجابي. اما اذا لم تتحرر تلك القوى والقدرات، وبقيت محرومة من فرص الفعل فان طريقها سيصير الى الاضمحلال. فالتربية هي عملية نمو ونضوج (للعقل من خلال الفكر، وللإرادة من خلال الإنجازات، وللعواطف في تجلياتها))[٩]. وبما ان مهمة المرأة هي بناء الانسان، لذلك يجب ان تكون مهمة التربية خاصة بها الى جانب مهماتها كأم وزوجة. الا ان شروطاً خاصة يجب ان تتوفر فيها لتكون اهلاً لتلك المهمة المقدسة. أهمها ثباتها على افكارها وآرائها، ذلك ان التردد والتشويش سيزرع الارباك في الرؤوس ما يفقد الجدوى من العملية التربوية الصحيحة[١٠]. كما يجب ان يكون بينها وبين الأولاد رباط حب طبيعي مسبق ليمكنها احداث التأثير التربوي العميق، حب حتى للذين هم ليسوا اهلاً له من ذوي الطباع الرديئة[١١]. فضلاً عن أهمية ان يكون في المربية جمالٌ وخيرٌ لان المتربي سيستمد منها القيم[١٢]. وفضلاً عن المرأة أكدت شتاين على أهمية دور العائلة بعامة ثم الدولة والمؤسسة الدينية بل وحتى التأثيرات غير الارادية

كالتواصل مع الناس، التربويين، الفنانين، الأحزاب والحركات المدنية والسياسة .... في العملية التربوية. وأخيراً ينتهي الانسان الى ان يكون مربي نفسه عندما يتمكن من استعمال عقله وحريته[١٣].

وكان لشتاين حديث عن نوعية المناهج التي يفضل تدريسها للمرأة. اذ رفضت المناهج العلمية المكتظة بالمواد، والقائمة على أساس الامتحان والسلطة وأكدت على أهمية الانتقال من التعليم النظري الى المدرسة المهنية، أي التحضير للعمل لأنه حاجةاقتصاديه كما انه يخدم تكوين الشخصية ويندرج في صميم مصالحها. فالمهنة هي المكان الذي ينخرط فيه الفرد بالجماعة ويلتحم[١٤]. ان المناهج هي كالطعام، منه ما يكون غذاء صحياً ومنه ما يكون سماً، منه ما يكون سهل الهضم او عسيره، فهي اما تعرقل القوى الداخلية للمتلقي او تطورها. فأن وجدنا ان الغذاء الذي يمنح له من النوع المعرقل فيجب قطعه[١٥]. كما ان اشتاين منحت الحرية واولتها أهمية، فالمتلقي اما يتجاوب مع ما يملى عليه او يرفضه باختيار حر[١٦].

عموماً المناهج ذات القيم الروحية مهمة للمرأة في تسكين روحها. لذا كان الادب والفن والتاريخ مهماً لها، فضلاً عن المهمات الحسية التي يجب ان تدرب المرأة عليها، فالعقل ليس نظرياً بل عملياً يواجه يومياً واجبات مختلفة[١٧]، وهكذا تلاحظ في نظرة عامة على فلسفة شتاين التربوية للمرأة، انها ارادت للمرأة ان تنفتح على كل ما هو انساني خاصة وانها مؤهلة لذلك بالفطرة، وبقول يذكرنا بأفلاطون تقول ان على المرأة بعد ان تنفتح على كل ما هو انساني ان تعود لذاتها محملة به. هي ارادت نساء نشيطات مشاركات ووجدت ان ذلك لن يكون بغير التربية[١٨]. أي ان الهدف الذي طمحت له والذي كان ردة فعلها على المعاناة التي تعرضت لها كامرأة ارادت الوصول له من خلال التربية.

الهوامش

(١) خنانوا، فادية ياقو:- المرأة في تاريخ الفكر الفلسفي، رسالة ماجستير كلية الاداب- جامعة بغداد، ٢٠٠١، ض١٧٩.

(٢) M. Wikipedia.org

(٣) خنانو، فادية ياقو- المراة في تاريخ الفكر الفلسفي، ص١٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٩.

(٥) M. Wikipedia.org

(٦) تشاين، إديت:- المرأة، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٨.

(٧) المصدر نفسه،ص١٦٣

(٨) المصدر نفسه، ص٢٩.

(٩) المصدر نفسه، ص٢٢.

(١٠) المصدر نفسه، ص٤٠.

(١١) المصدر نفسه، ص٤١.

(١٢) المصدر نفسه، ص١٧٦.

(١٣) المصدر نفسه، ص٣١٢.

(١٤) المصدر نفسه، ص٨٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص٧١-٧٢.

(١٦) المصدر نفسه، ص١٦٩.

(١٧) المصدر نفسه، ص٨١-٨٢.

(١٨) المصدر نفسه، ص٨٢.